اللغــة والهويــة

إعداد الباحث:

محمد أنور بادشاه السريلانكي

الباحث بمعهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة

الملخـــص

تتناول هذه الدراسة العَلاقة بين اللُّغة والهُوِيَّة وعلى الرَّغم من أنَّ البحث يَنهَد إلى قضية اللُّغة والهُويَّة في إطارها العام والمجرَّد، فإنَّ الغاية – بلا شكٍّ – هي "العربية"؛ لُغتنا عربًا ومسلمين، أو منتمين إلى الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، والغاية أيضًا هي "الهُوية العربية الإسلامية" التي تجمع الشَّمْل، وتُوحِّد الصفَّ، وتعقد الآصرة، وإذًا فإنَّ ثمةَ وقفةً مع العربية بوصفها هُويَّة، وما تحمله في داخلها من عناصر قوَّة، ممَّا يُحفزنا على الإيمان بها من ناحية، والتمسُّك بها من ناحية أخرى، ثم ما تواجهه من عناصر ضعفٍ؛ لنكونَ معها في هذه المواجهة.

ويتجه البحث لدراسة العَلاقة القائمة بينهما، ووضعها تحت المجهر؛ لرصدَ الدوائر التي يلتقيان فيها، والقواسمَ المشتركة التي تجمع بينهما وسنأخذ الهند كنموذج للدراسة من ناحية دور اللغة العربية في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الهند والعوائق والصعوبات التي تواجه اللغة العربية هناك.

وقد توصَّلت الدِّراسةُ إلى جملةٍ من النتائجِ، منها: مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية وأهميتها للمسلمين ، الحرص على اللغة العربية وتعليمها ونشرها في الهند، التنوُّع في المناهج التي تُعلِّم اللغة العربية، والسعي إلى تطويرها بما يُسهِّل الفهم والإدراك للمتعلمين، التبادل الثقافي وكذلك الزيارات بين الدول العربية والهند، وإرسال البعثات الطلابية، وكذلك المعلمين؛ لأخذ الخبرة، وتصحيح النُّطق والمعنى في بلاد العرب.

Language and Identity

By: **Mohammed Anwar Badshah Al–Serilanki**

A Researcher in the Institute of Arabic Research and Studies in Cairo

Abstract

This research tackles the relation between language and identity. Despite the fact that the researcher addresses the issue of language and identity in its general and specific frameworks he is concerned only with Arabic language whose speakers belong to the Arabic and Islamic civilization. He is also concerned with the Islamic and Arabic identity which gathers and unifies the members of this civilization and urges them to be faithful and committed something that backs those members in their confrontation with the weakening elements.

The researcher intends to study the present relation between both by focusing light on such duality so as to trace the points of contact and the common aspects they share together. India is taken as an example to studies here in order to show how Arabic language preserves the Islamic identity in India and the difficulties which face Arabic language there.

The research has found out a group of results; first the status of Arabic language in between the international languages and its importance to Muslims. Second there is a growing interest to teach Arabic in India and there is also a variety of curricula keen on teaching Arabic. There is also an interest to develop Arabic so as to make it easier to be understood by the learners. Third there should be cultural exchange programs and visits in between Arabic countries and India through scholarships of teachers and students to change experience correct the pronunciation and meaning in the Arab countries.

Key words: language identity interest in Arabic language developing the language.

مقدمـــة

بسم الله خير الأسماء، ربّ الأرض والسماء، جامع الناس ليوم الجزاء، وصلاة وسلامًا على خير الأنبياء، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه النُّجباء، أما بعد:

فلقد أدركت كل الأمم أن قضية الهوية قضية محورية، وأن من لم ينتبه إليها سيذوب حتمًا في ثقافة غيره، وستتلاشى مميزاته الخاصة ليكون ذيلًا أو ذنَبًا للآخرين.

وأعداء الأمة لم ولن يتركوها على هويتها الإسلامية وعقيدتها التوحيدية وثقافتها الإيمانية، بل يكيدون الليل والنهار، ليُزحزِحونا عنها ويطمسوها عنَّا؛ قال تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة من الآية:٢١٧]، وقال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة من الآية:١٢٠]، وقال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} [النساء من الآية:٨٩]، وقال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} [البقرة من الآية: ١٠٩

والذي ينبغي أن ينتبه له أهل الإسلام أنَّ أعداء الإسلام يحرصون على هوياتهم، مع اجتهادهم وبذلهم الغالي والرخيص من أجل تذويب هوية المسلمين، وطمس معالمها، والنأي بهم بعيدًا عن دينهم؛ حتى تغيب شمسُ الإسلام، وتندثر تعاليمه، وتتلاشى هوية أتباعه؛ فحرصًا على تقديم نوع من النصائح والتوجيهات جاء هذا الجهد المتواضع.

من أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية الحفاظ على الهوية الإسلامية في كل بقاع العالم الإسلامي بمختلف أطيافه وألوان دوله، وأماكن الوجود.

٢- إبراز الدور الذي تلعبه اللغة العربية في الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية في مختلف المجالات الثقافية والدينية والاجتماعية وغيرها.

٣- مكانة اللغة العربية عند المسلمين؛ لنزول القرآن بلغةِ العرب، وكذلك نبي آخر الزمان من العرب.

٤- معالجة العوائق والإشكاليات والصعوبات التي تواجهها اللغة العربية، والتآمر عليها من قِبَل أعداء الإسلام، سواءً في الدول العربية أو الإسلامية.

٥- المساهمة في إيجاد الطرق والوسائل لنشر اللغة العربية في الهند، وبثها بين أوساط الشباب الهندي؛ ليسهُل التعرف على الموروث الإسلامي والحضاري، والحفاظ على الهوية الإسلامية وعدم الذوبان في ثقافات أخرى.

خطة البحث:

وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة.

المطلب الأول: التعريفات.

- تعريف اللغة وأهميتها.

- تعريف الهوية الإسلامية والثقافة.

المطلب الثاني: ركائز الهوية الإسلامية وخصائصها.

الخاتمة والتوصيات والنتائج.

المراجع.

تمهـيد

يستهدف هذا البحث إلى الإجابة عن تساؤُل مهم: ما حدود العَلاقة بين اللُّغة والهُوِيَّة؟ وهو سؤال يستبطن في داخله إقرارًا بأن ثمة علاقة بينهما، والسؤال وما استبطنه يستدعيان مجموعة من النِّقاط والأسئلة التي ترتبط بتلك الدوائر التي يلتقيان (اللغة والهُوِيَّة) فيها، وتلك التي يفترقانِ فيها إن كانت موجودةً، وعلى الرَّغم من أنَّ البحث يَنهَد إلى قضية اللُّغة والهُوِيَّة في إطارها العام والمجرَّد، فإنَّ الغاية - بلا شكٍّ – هي "العربية"؛ لُغتنا عربًا ومسلمين، أو منتمين إلى الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، والغاية أيضًا هي "الهُوية العربية الإسلامية" التي تجمع الشَّمْل، وتُوحِّد الصفَّ، وتعقد الآصرة، وإذًا فإنَّ ثمةَ وقفةً مع العربية بوصفها هُوِيَّة، وما تحمله في داخلها من عناصر قوَّة، ممَّا يُحفزنا على الإيمان بها من ناحية، والتمسُّك بها من ناحية أخرى، ثم ما تواجهه من عناصر ضعفٍ؛ لنكونَ معها في هذه المواجهة.

سنتوقَّف عند ما سبق -على عجل-، في استجابةٍ لِمَا تفرضه مناسبة المؤتمر ، وحدود زمن متاح فيه، وقبلَ هذا وذاك، فإنَّ القضية أكبرُ من بحث، وأوسعُ من ندوة، وستظل مُثارةً إلى ما شاء الله تعالى.

فإن اللغة هوية، وليست "الهوية" لغةً، بمعنى أن اللغة ليست المقوم الوحيد للهوية، وإن كانت من أهم هذه المقومات، وأشدها خصباً وعمقاً وتركيباً. إن العلاقة بين اللغة والهوية هي علاقة الخاص بالعام، فالهوية أعم من اللغة؛ لأن الهوية لها تجليات عديدة غير "اللغة" إذ إنها (الهوية) ببساطة متناهية ليست سوى تلك القواسم المشتركة أو القدر المتفق عليه بين

مجموعة من الناس، ذلك الذي يميزهم ويوحدهم، وليست اللغة وحدها التي تقوم بهذه المهمة، وهذا يعيدنا إلى المقومات الأخرى للهوية.(١)

فاللغة هي أساس الأمة وهي التي تربط الحضارات بعضها ببعض، وهي التي تخلد الأمم، فكأنها مفتاح الغد الذي يختزل الماضي وإرثه؛ فالثقافات تتحاور وتتداخل وتتلاقح وكذلك اللغات، بل هناك أيضاً لغة تهيمن على الأخرى؛ يقول (ابن خلدون): إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده. "(٢).

ومن هنا تكمن الهيمنة؛ هيمنة اللغة، فالقوة تكمن باللغة في الأساس، فالمغلوب يتبع الغالب ويقلده، ويبقى مبهوراً به، متأثراً به من الناحية اللغوية والثقافية والسلوكية وحتى في الزي كما يقول ابن خلدون، فاللغة المهيمنة هي لغة الدولة المهيمنة، فحينما كانت الدولة الإسلامية قوية ومسيطرة شاع اللسان العربي وتفوق على غيره من الألسنة، لكن بعد ذلك تزعزع اللسان العربي، وخاصة مع دخول العجم بكثرة، يقول (ابن خلدون): ولما تملّك العجم وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فَسُد اللسان العربي لذلك، لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة.(٣) فاللُّغة أقدمُ تجليات الهويَّة، أو لنقلْ: هي التي صاغتْ أوَّل هويَّة لجماعة في تاريخ الإنسان.

وفي هذا السِّياق نستحضر بواكيرَ التحوُّل العربي من ضيق القبلية والبداوة إلى سَعة الحضارة والمدنيَّة، هذه النقلة التي أحدثَها الإسلامُ، وكان أحدَ تجلياتها الواضحة الاتجاهُ الكبير نحو التدوين اللُّغوي، ونشاط الدِّراسات اللُّغويَّة والنَّحْوية، في إشارة واضحة وعميقة إلى التحوُّل في حياة أولئك الأعراب، وشعورهم بأنَّهم أصحابُ هويَّة الصورة المقابلة صورتنا

(١) -ينظر فيصل الحفيان: اللغة والهوية، إشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقات ص ١٦٨

(٢) -ابن خلدون: المقدمة، الدار التونسية، ١٩٨٤، ص٢٥٨-٢٥٩

(٣)-.ابن خلدون: المقدمة، ١/ ٤٥٧

- نحن العربَ والمسلمين - بعد الحقبة العثمانيَّة، وموت الرجل المريض، وفيها يبدو المسلمون عامَّة، والعرب منهم خاصَّة، في طريقهم إلى التشرذم والتفكُّك تحت تأثير الانقطاع الحضاريِّ الطويل، والسُّبات الذي امتد قرونًا، وأيضًا تحت تأثير العقل الاستعماري الذي يُريد أن ينهب ويُهيمن ويستتبع، ويومها أيضًا برزت قضية اللُّغة، وإن كانت الظروف مختلفة، فقد قُدِّمت اللُّغة العربيَّة على أنَّها بديلٌ للفكر الذي غذاها (الإسلام)، وجُعل العنصران (عُنصرَا هوية الأمَّة)، على أنَّهما نقيضان، ولسْنَا في معرض العوامل التي كانت وراءَ ذلك.

وحتى لا نخرج من إطار الموضوع، فإنَّنا سنُركِّز على اللُّغة والهُوِيَّة، والعَلاقة القائمة بينهما، وسنضعهما هنا تحت المجهر؛ لنرصدَ الدوائر التي يلتقيان فيها، والقواسمَ المشتركة التي تجمع بينهما وسنأخذ الهند كنموذج للدراسة لكون الباحث يجيد اللغة الهندية.

المطلب الأول
التعـــــريفـــــــات

مفهوم اللغة:

تشير أمهات المعاجم العربية التي وقفنا عندها إلى أن كلمة (لغة) في العربية ترجع إلى الجذر "لغو" أو "لغ"، وهو يدور حول معاني الرمي والطرح والإلقاء والإلغاء، ويؤكد على هذا المعنى الزبيدي في تاجه حين يقول: "اللغو وهو الطرح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يُرمى به."، ولا يخرُج صاحب لسان العرب عن المعاني التي أومأنا إليها منذ حين، والمتصلة بمدلول كلمة (لغة): فاللغو واللغا: "السقط، وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع... وكل ما أسقط فلم يعتدَّ به ملغى."، قال عز وجل: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} المائدة من الآية:٨٩.

وشاع استعمال كلمة لغة، و(لغات) للدلالة على اللهجات التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية، وهي عادة ما تنسب إلى قبيلة بعينها، أو مجموعة قبائل في فضاء جغرافي معيَّن، فقيل: "لغة أهل الحجاز، ولغة أهل اليمن، أو لغة تميم، ولغة قريش، ولغة هذيل"، وسرعان ما توحَّدت (اللهجات) على أعلى المستوى الأدبي في لغة قريش التي استأثرت بميادين الأدب شعرًا وخطابه... وجاء القرآنُ الكريم ليجسِّد هذه الوحدة، وهو كتاب الله.

ويقال عن تعريف اللغة أيضًا:

اللغة نسق من الإشارات والرموز، يُشكِّل أداة من أدوات المعرفة، وتُعد اللغة أهمَّ وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، وبدون اللغة يتعذَّر نشاط الناس المعرفي.

وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطًا وثيقًا؛ فأفكار الإنسان تصاغ دومًا في قالب لغوي، حتى في حال تفكيره الباطني، ومن خلال اللغة فقط تحصل الفكرةُ على وجودها الواقعي، كما ترمز اللغةُ إلى الأشياء المنعكسة فيها.

وعرَّف صاحب معجم اللغة العربية المعاصرة(١)

"" لُغَة (مفرد): جمعها: لُغات ولُغًى

١-أصواتٌ يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم؛ "اللغة العربية - الفرنسية - الإنجليزية"، وتُسمّى اللغة العربية لغة الضاد.

٢-كُل وسيلة لتبادل المشاعر والأفكار؛ كالإشارات، والأصوات، والألفاظ، "لغة حية - لغات أجنبية - لغة التخاطب"، أُحادي اللغَة: معبر عنه بلغة واحدة فقط، أو مَنْ يعرِف أو يستخدم لغةً واحدة فقط.

" واللغة لها دَور كبير في الحفاظ على الهوية "

" مما لا شك فيه أن اللغة هي أول ثابت من ثوابت الهوية عبر الأزمنة والتاريخ؛ فهي العنصر المركزي والوحيد الذي جعل الناس (جماعة) واحدة ذات خصائص محددة ومتميزة بعاداتها وثقافتها وطقوسها وحضارتها وجغرافيتها (هوية)، ومن هنا كان هذا التلاحُم باللغة والهوية إلى درجة "يتم الربط بينهما، ويتقاربان إلى درجة أنهما يكادان يصبحان شيئًا واحدًا."

ويقولون عن اللغة العربية كما ذكر في الموسوعة (٣)

"اللغة العربية هي أكثر اللغات تحدثًا ضمن مجموعة اللغات السامية، وإحدى أكثر اللغات انتشارًا في العالم، يتحدَّثها أكثر من ٤٢٢ مليون نسمة، ويتوزع متحدِّثوها في الوطن العربي، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة؛ كالأحواز، وتركيا، وتشاد، ومالي، والسنغال، وأرتيريا، والهند، وباكستان، وغيرها من الدول الإسلامية؛ حيث بدأت تنتشر

وبكثرة، واللغة العربية ذات أهمية قصوى لدى المسلمين؛ فهي لغة مقدَّسة (لغة القرآن)، ولا تتم الصلاة (وعبادات أخرى) في الإسلام إلا بإتقانِ بعض من كلماتها.

العربية هي أيضًا لغة شعائرية رئيسية لدى عدد من الكنائس المسيحية في الوطن العربي، كما كُتبت بها الكثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى.

وأثَّر انتشار الإسلام، وتأسيسُه دولًا، في ارتفاع مكانة اللغة العربية، وأصبحت لغةَ السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكَمها المسلمون، وأثرت العربية تأثيرًا مباشرًا أو غير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي؛ كالتركية، والفارسية، والأمازيغية، والكردية، والأردية، والماليزية، والإندونيسية، والألبانية، وبعض اللغات الإفريقية الأخرى؛ مثل: الهاوسا، والسواحيلية، وبعض اللغات الأوروبية، وخاصةً المتوسطية منها؛ كالإسبانية، والبرتغالية، والمالطية، والصقلية، كما أنها تُدرَس بشكلٍ رسمي أو غير رسمي في الدول الإسلامية، والدول الإفريقية المحاذية للوطن العربي.

وهي إحدى اللغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة، ويُحتفل باليوم العالمي للَّغة العربية في ١٨ ديسمبر، كذكرى اعتماد العربية بين لغات العمل في الأمم المتحدة.

واللغة العربية من أغزرِ اللغات -من حيث المادة اللغوية- في العالم، كما تم تدوين الكثير من المعاجم والقواميس التي تحتوي على آلاف الكلمات والمعاني."

تعريف الهوية:

ما هي الهوية: "الهوية مأخوذة من "هُوَ.. هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته؛ لذا نجد أن الجرجاني في كتابه الذائع الصيت "التعريفات" يقول عنها: بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمالَ النواة على الشجرة في الغيب.

إن هويةَ الشيء هي ثوابته، التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذاتُ على قيد الحياة.

."إن هوية أية أمة هي صفاتُها التي تُميِّزها من باقي الأمم، لتعبِّر عن شخصيتها الحضارية"

والهوية معناها:

تعريف الإنسان نفسه؛ فكرًا وثقافة، وأسلوب حياة، أو هي مجموعة الأوصاف والسلوكيات التي تُميِّز الشخص عن غيره.

وكما أن للإنسان هوية، كذلك للمجتمع والأمم هوية؛ فهناك مجتمع إسلامي، ومجتمع عَلْماني، وهناك النَّصراني، وأيضًا الشيوعي والرأسمالي، ولكل منها مميزاتها وقِيَمها ومبادئها.

فإذا توافَقت هوية الفرد مع هوية مجتمعه، كان الأمنُ والراحة والإحساس بالانتماء، وإذا تصادمت الهوياتُ، كانت الأزمة والاغتراب، ومن هنا يمكنك فهمُ معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «بدأَ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ كما بدأَ غريبًا؛ فطُوبى للغُرَبَاءِ» رواه مسلم.

هذه الهوية هي التي تتبنَّاها النفس، وتعتز بالانتساب إليها، والانتماء لها، والانتصار لها، والموالاة والمعاداة على أساسها، فبها تتحدد شخصية المنتمي وسلوكه، وعلى أساسها يُفاضل بين البدائل.

وبالنسبة للمجتمع تعتبر الحصنَ الذي يتحصن به أبناؤه، والنسيج الضام، والمادة اللاصقة بين لَبِناته، فإذا فُقدت تشتَّت المجتمع، وتنازعته المتناقضات.

مقومات الهوية:

تقوم الهوية على العناصر التالية:

الأول: العقيدة التي تُوفِّر رؤية للوجود.

الثاني: اللغة واللسان الذي يجري التعبير به.

الثالث: والتراث الثقافي الطويل المدى، وسنذكر تعريفًا للثقافة.

الرابع: الشعب والجغرافيا التي يسكنها، فمن الصعب وجود هوية بدون أناس ونطاق جغرافي يسكنونه.

وهناك من يقول بأن الثقافة هي أيضًا يقصد بها الهوية، ولكن هوية ثقافية اجتماعية تراكمية لطبيعة المجتمع..

تعريف الثقافة:

هي مجموع العقائد والقِيَم والقواعد التي يقبَلها ويمتثل لها أفراد المجتمع؛ ذلك أن الثقافة هي قوة وسلطة موجهة لسلوك المجتمع، تحدِّد لأفراده تصوراتهم عن أنفسهم والعالم من حولهم، وتحدد لهم ما يحبُّون ويكرهون، ويرغبون فيه ويرغبون عنه؛ كنوع الطعام الذي يأكلون، ونوع الملابس التي يرتَدُون، والطريقة التي يتكلمون بها، والألعاب الرياضية التي يمارسونها، والأبطال التاريخيين الذين خلدوا في ضمائرهم، والرموز التي يتخذونها للإفصاح عن مكنونات أنفسهم، ونحو ذلك، والطابع الديني، والتعالم السلوكي، والقِيَم والمبادئ، فإذا أضفينا عليها الصبغة الإسلامية كانت ثقافة إسلامية منضبطة."

من هذا التعريف يتبين "أن الثقافة:

١- ذات نمو تراكمي على المدى الطويل: بمعنى أن الثقافة ليست علومًا أو معارف جاهزة يمكن للمجتمع أن يحصل عليها ويستوعبها ويتمثلها في زمن قصير، وإنما تتراكم عبر مراحل طويلة من الزمن.

٢- تنتقل من جيلٍ إلى جيل عبر التنشئة الاجتماعية: فثقافة المجتمع تنتقل إلى أفراده الجدد عبر التنشئة الاجتماعية؛ حيث يكتسب الأطفال خلالَ مراحل نموهم الذوقَ العام للمجتمع.

٢- ذات طبيعة جماعية: أي إنها ليست صفة خاصة للفرد، وإنما للجماعة؛ حيث يشترك فيها الفردُ مع بقية أفراد مجتمعه، وتُمثِّل الرابطةَ التي تربط جميع أفراده.

ويمكن القول بأن: الثقافة الإسلامية والعربية التي سادت وسيطرت على المنطقة العربية وانتشرت في أنحاء المعمورة معززةً الهوية الإسلامية؛ فالثقافة يمكن القول عنها: إنها رافد للهوية، فإذا كانت ثقافة إسلامية بضوابطَ، نستطيع أنْ نقول: إنها تنتج هوية إسلامية.

مفهوم الهوية الإسلامية:

والهوية الإسلامية في الحقيقة هي الانتماء إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإلى دين الإسلام، وعقيدة التوحيد التي أكمَل اللهُ لنا بها الدين، وأتم علينا بها النعمة، وجعَلنا بها الأمة الوسط، وخير أمة أخرجت للناس، وصبَغنا بفضلها بخير صبغة {صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} [البقرة:١٣٨]؛ فالهوية الإسلامية انتماء إلى الدين الإسلامي، وتطبيقه على الفرد والمجتمع، وتشكيل الدولة الإسلامية ذات الهوية الإسلامية المتكاملة والشاملة لجميع جوانب الحياة، والرامية إلى العالمية والرُّقي والقيادة للأمم والبشرية جمعاء.

ونظرًا لأهمية الهوية للأمم تسعى كل أمة للحفاظ على هويتها:

الأمم التي تريد أن تبقى هي التي تحافظ على هوَّيتها؛ ولذلك لا عجب أن تحاول كل دولة أو أمة أن تصونَ لأتباعها هويتهم، وتحميهم من غزو الثقافات الأخرى لثقافتهم، فعندما رأى الفَرنسيون أن اتفاقية الجات تؤدي إلى دخول المواد الثقافية الأمريكية بمعدلات كبيرة لفرنسا، مما يُشكِّل تهديدًا صارخًا لهويتهم القومية، رفضوا التوقيعَ على الجزء الثقافي من الاتفاقية، وطالبوا بتخفيض تلك المعدلات.

وأعجب من هذا أن يقوم الهندوس في بلاد الهند بمنع بيع الزهور في يوم عيد الحب "فالنتاين"، وحَرق المحلات التي تبيعه؛ لأن ذلك ليس من الهندوسية، ويحارب الثقافةَ الهندية.

وهذا كله إن دلَّ فإنما يدلُّ على مدى محافظة كلِّ أمةٍ على هوية أبنائها، وحمايتهم من السقوط في هوَّة الانبهار بثقافات الآخرين، فمتى نهتمُّ نحن لهذا ونحوط أبناء أمتنا ونحميهم من الوقوع في هذه الحمأة؟ !

وكذلك اليهود يحرصون على هويتهم، والبحث عن تراثهم المزعوم، وهو هيكل سليمان عليه السلام تحت المسجد الأقصى، حِرصًا منهم على طمس هوية المسلمين، والعمل على تهجير المسلمين، وعدم عودة اللاجئين الفلسطينيين والمَقْدسيين؛ فهو صراع على البقاءِ على الهوية لكل أمة وشعب من شعوب العالم.

فنرى الأمم تحافظ على هويتها ولغتها، وتعمل على نشرها عن طريق المراكز الثقافية الموجودة في سفاراتها في مختلف أنحاء العالم، كما نرى الثقافة الأمريكية وغيرها".

المطلب الثاني

ركائز الهوية الإسلامية وخصائصها

الهوية الإسلامية ذات خصائص راسخة الجذور، فمن ركائزها:

١-أنها ربانية الأصل والمصدر والمرجعية

٢-وهي عالمية لا تعترف بالحدود المصطَنعة.

٣-وهي شاملة لكل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لا تقبل الاحتواء والانكماش في هوية أخرى، ولا تقبل فرض نموذج أجنبي يفرض عليها إرادته أو أيديولوجياته.

٤-كما تتميز باستقلال الشخصية، فلا تقبَلُ الذوبان في غيرها، إنها تُحسِن حين يُحسِن الناس، ولكنها حين يُسيئون لا تظلم، لا مانع من الأخذ عن الغير ما هو نافع، وطرح ما هو ضار؛ عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكونوا إمَّعةً، تقولون: إن أحسَن الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلَمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إنْ أحسَن الناس أن تُحسِنوا، وإن أساؤوا فلا تظلِموا» (رواه الترمذي).

والإعلان عن الهوية وعن العقيدة من الأمور التي يجب أن يعتزّ بها كل مسلم، وألا يفرِّط فيها، أو يتهاون بحالٍ من الأحوال.

خصائص الهوية الإسلامية:

أولاً: الثبات:

فلا تتأثر بأبواق العدو أو وسائل إعلامه، بل تظل متمسكة بعقيدتها ودينها معتصمة بحبل الله؛ فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف الذي يذهَبُ مع الريح أينما ذهبت، ولكن لا بد من الثبات والتمسُّك بالقِيَم، والقابض على دينه كالقابض على الجمر، وهي من علامات آخر الزمان، وعلامات الساعة.

ثانيًا: الحرص على التقدم العلمي ومواكبته:

فلا تتأخّر عن ركب التقدُّم ولا تضعُف، ولا مانع من الاستفادة من الغير؛ فالحكمة ضالة المؤمن، أينما وجَدها فهو أحق بها، ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث إلى العلم وبيَّن فضلَه ومكانته، ومكانة طالب العلم، والخيرية لمن تعلَّم وتفقه في الدين، وأمَر بتعلّم لغات القوم لأمْنِ مكرهم، وحث على القراءة امتثالاً لِما جاء في القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق:١]، وكانت الأمة الإسلامية في مصاف الدول المتقدمة والمنتجة والخادمة للبشرية، وخير شاهد على ذلك حضارة الأندلس، وقلعة العلم في بغداد، وتفرُّد علماء المسلمين في الطب والرياضيات، وكذلك مختلف العلوم، واكتشفوا العديد من المواد، واخترعوا الكثير، مما حمل الكثير من الأوروبيين على إرسال أبنائهم ليتعلَّموا في الدول الإسلامية، وجاء المستشرقون وغيرهم إلى بلاد المسلمين ليتعلموا.

ثالثا: استقلال الشخصية:

فالشخصية والهوية الإسلامية مستقلة متفردة بقِيمها وأخلاقها، لم تتأثر بالآخر وبما يهدمُ قِيَمها ومبادئها، وكان الحرص على التميز وعدم التبعية، وجاءت نصوص كثيره تدعو إلى التميز، وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم منها: «خالفوا اليهود» (رواه أبو داود وغيره، وصحّحه الألباني ونص الحديث: «خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لا يُصَلّونَ في نِعَالِهِمْ وَلاَ خِفَافِهِمْ»)، فكانت مخالفتهم في كل ما يمُتُّ إلى العقائد بصلةٍ.

رابعًا: التسامح:

حيث تتَّسم الهوية الإسلامية بالتسامح والتراحم مع ثباتها.

والشعار في ذلك الآية الكريمة؛ قال تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} آل عمران من الآية:١٣٤

وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في فتح مكة؛ حيث قال لهم بعد أن سامُوه أشد العذاب، وطردوه منها، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وشعاره العفو عند المقدرة، لا كما هو

حاصل عند الغرب اليوم، وكذلك في الطائف عندما جاءه ملك الجبال عليه السلام ليُطبِقَ عليهم الأخشبين، فقال: «لعل اللهَ أن يخرجَ من أصلابهم مَن يقول: لا إله إلا الله» (السيرة النبوية لابن هشام)

خامسًا: أصالة الهوية:

فالهوية أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء، هوية إسلامية ناصعة البياض، تستمد قوَّتها من الدين الإسلامي، وتعاليمه المبثوثة في القرآن والسنة المطهرة، وأمر الله ورسوله، والخضوع والاستسلام لهما.

سادسًا: الشجاعة التي تدفع صاحبها إلى الجهاد في سبيل الله:

فالشجاعة هي من أبرز صفات المسلم صاحب الهوية الإسلامية الأصيلة، وتقوده إلى الدفاع عن المقدسات والأوطان والأموال والأنفس، و«مَن قُتِل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون عِرضه فهو شهيد» (متفقٌ عليه)؛ والجهاد في سبيل الله هو من أجلِ إعلاء كلمة الله، ونشر دينه، ونصرة المظلوم، وإعانة المحتاج والمستضعفين في الأرض؛ فهذه هي أهداف الجهاد، وليس التوسع والسيطرة، كما يروِّج لذلك أعداء الإسلام.

سابعًا: من أبرز خصائص الهوية الإسلامية التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب والقيام بالعمل:

فكمال الشخصية والهوية الإسلامية الاعتمادُ على الله، والأخذ بالأسباب؛ قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهَّ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَّ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق:٣]، وذكر في الحديث: «اعقِلْها وتوكَّلْ» رواه الترمذي.

ثامنًا: الأخوة من خصائص الهوية الإسلامية:

تلك الأخوة التي لا تكون إلا بالإيمان؛ فهو من أهم ركائز الأخوة في الله، والحب في الله، وإذا لم يوجدِ الإيمان لم توجد هذه الأخوة، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمنُ أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبه لنفسه» (متفقٌ عليه.(

ويقول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات من الآية:١٠]، والأخوة مكفولة لكل المسلمين في كل بقاع العالم، تجمعهم لا إله إلا الله محمد رسول الله.

تاسعًا: ومن أهم خصائص الهوية الإسلامية: إقامة العدل، وعدم الظلم أو المحاباة:

وأمر بالعدل حتى مع الآخر، وقصة علي بن أبي طالب مع اليهودي عندما احتكموا إلى شريح القاضي، وكذلك قصة ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما ضرَب أحد الأقباط، عندما هزمه في السباق فاقتص منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء:١٣٥

عاشرا: ومن خصائص الهوية الإسلامية: التعمير، وعدم التخريب، وحماية الأنفس والأموال والأعراض، والسعي إلى بناء وإعمار الأرض وإسعاد البشرية:

ويتجلى هذا في تعاليم الإسلام التي أمر بها أتباعه أن يعملوا على تحقيق التعمير وعدم التخريب؛ فالإسلام يرفُض العنف، وسفك الدماء، والعبث، والإفساد في الأرض؛ حيث يقول تعالى: {إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص من الآية:٧٧.[

حادي عشر: إنسانية التصرُّف والتوجه؛ لأنها نابعة من إيمان وضميرٍ ديني حي:

فلا تنزع إلا إلى الخير والعطاء، والسلام والاستقرار، وحب الخير للجميع، إن الهوية الإسلامية في إنسانياتها تمد يدها بالعطاء الحضاري، وبالسلام العالمي، وبالتعايش السلمي، فلا تنكفئ على ذاتها، ولا تتعصب لجنسها، ولا تحاول فرض هيمنتها على الغير، كما نشاهد هذا في "العولمة" التي تسعى إلى تغيير الهويات وتذويبها، من أجل إخضاع العالم لهوية واحدة، وسيطرة حضارة معينة، واستخدام كافة السبل والطرق لذلك حتى القوة والاضطهاد، وكبت حريات الآخرين، وفرض نوع واحد من الثقافة أو الهوية، كما نلاحظه

الآن من سيطرة النظام العالمي الجديد على مجريات الأحداث في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

ثاني عشر: تعاون الهوية الإسلامية حضاريًّا وثقافيًّا مع كل الهويات والحضارات المختلفة دون صراع أو محاولة فرض ثقافة معينة، ولا تقبل الهوية الإسلامية فرض حضارة عليها ولا ثقافة أخرى ولا هوية، مهما كان شأنها؛ لأن الحفاظ على الهوية الإسلامية واجب ديني تُمليه العقيدة الإسلامية، والالتزام بالهوية الإسلامية ضرورة حياتية لا يمكن التنازلُ عنها، ولا الخضوع لأي هوية أخرى؛ لأنها ذات مبادئ استقَتْها من الوحي الإلهي المعصوم، ولأن مبادئها لا تتعارض مع القِيَم الرشيدة، بل تدعو إليها وإلى حقوق الإنسان، وتسعى للتعاون الحضاري مع الجميع.

نتائج البحث

وفي الأخير نُبرِز أهم التوصيات والنتائج التي توصَّل إليها الباحث

١-أهمية اللغة العربية في حفظ الهوية الثقافية والإسلامية والحضاري.

٢-مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية وأهميتها للمسلمين.

٣-الحرص على اللغة العربية وتعليمها ونشرها في الهند.

٤-التنوُّع في المناهج التي تُعلِّم اللغة العربية، والسعي إلى تطويرها بما يُسهِّل الفهم والإدراك للمتعلمين.

٥- التبادل الثقافي وكذلك الزيارات بين الدول العربية والهند، وإرسال البعثات الطلابية، وكذلك المعلمين؛ لأخذ الخبرة، وتصحيح النُّطق والمعنى في بلاد العرب.

٦- الإكثار من الأنشطة والفعاليات التي تخدِم اللغة العربية، وتساعد على نشرها؛ مثل: المؤتمرات والندوات، ويستضاف العرب أهل اللغة للمشاركة، وكذلك النشرات والمجلات واستخدام وسائل الإعلام الممكنة والمتاحة في الهند لنشر اللغة العربية.

ونسأل الله التوفيق والسداد، ونأمل من الله أن يوفِّقَنا إلى تقديم اليسر حول الموضوع وما تيسّر جمعه وصياغته، ونطلب العون والتوفيق منه سبحانه إنه على كل شيء قدير.

المراجع

1 -اللغة العربية: رمز الهوية ورهان التنمية، معمر خولي، مقال منشور في الحوار المتمدن - العدد: [٣٦٧١]، ٢٠١٢/ ٣/ ١٨م.(

2- معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، "المتوفى: ١٤٢٤هـ"، بمساعدة فريق عمل، ج٣ ص: [٢٠٢٠]، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

3-دور اللغة العربية في الحفاظ على مقومات الهوية القومية وكسب رهانات وتحديات العولمة؛ ص: [٧]، جامعة الجزائر.(

4-العولمة وأثرها على الهوية: [١/ ٢]، د. خالد بن عبد الله القاسم، ٢/ ٥/ ١٤٢٧م، ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٦م، موسوعة الشحوذ للمقالات والبحوث.

5- ، منشور في موقع الواحة المصرية (http://www.egyptianoasis.net) بقلم: د. أحمد عمر هاشم.

6- ويكبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ الزيارة ١٥/ ٢٠١٣ بحث لغة عربية.

7- الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، لأحمد بن سيف الدين تركستاني، ص١٤، منشورات موقع الإسلام.